سيرة الامام الحسين (عليه السلام) في منظور المستشرقين
(المستشرق الالماني ماربين Marbin أنموذجاً)

م.د. حسن جاسم محمد حسين الخاقاني
كلية الامام الكاظم(عليه السلام) / أقسام بابل

Biography of Imam Hussein in the perspective of Orientalists (orientalist Marbin Marbin model)

Dr. Hassan Jassim Mohammed Hussein Al-Khakani
College of Imam Al Kadhum\ Babylon
Hassanjasem632@gmail.com

Abstract

The orientalist orientalist in the case of Imam Hussein between Moncef and Mughaf. The oriental orientalist Messiou Maribin distinguished himself from the rest of the orientalists by addressing this issue through objective and fair study, although there were some lapses that do not commend this study. And studied the impact of this policy in the short and long term. He also compared the policy of Husseiniya and the policy of some of the heads of religions. He compared the Hussein and the Prophet Yahya bin ZakRia, and Christ Jesus son of Mary, and also dealt with the impact of the Husseini funeral in building the personality of the individual belonging to the doctrine of Ahl al-Bayt.

The researcher used many sources during his analysis and criticism of this study, notably the killing of Hussein Abu Makhnaf, the history of Yacoubi, the history of Tabari, and other sources and references.

The researcher reached many results, notably:

Maribans found that the sacrifice of self, parents, friends and money is a policy that can be reaped by large armies, and that it will remain in effect for generations without being obscured.

The sacrifice of Hussein came to restore life to the Islamic religion, which the sons of illiteracy tried hard to obliterate, by questioning the prophecy of the Noble Prophet.

The Husseiniya Conference has the unmatched impact of all lessons and meetings. It has been and continues to be a policy of sharpening the influence of the fighters and the revolutionaries.

Finally, the researcher asks God Almighty to succeed in this humble work and the intercession of Mustafa and his pure family.

Keywords: politics, al Hussein, certificate, orientalist, incident.

الملخص:

أدلى المستشرقون بدلوهم في قضية الامام الحسين بين منصف ومجحف، وامتاز المستشرق الالماني المسيو ماربين عن باقي المستشرقين بتناوله لتلك القضية من خلال الدراسة الموضوعية والمنصفة، وإن وجد فيها بعض الهفوات التي لا تقدح بتلك الدراسة، واسمى دراسته بالسياسة الحسينية، تناول فيها شخص الامام الحسين وصفاته النبيلة، والسياسة التي اتبعها مع بني امية اصحاب القوة والسلطة، وقارن بين سياسة الامام علي وسياسة الامام الحسين(عليه السلام)، ودرس اثر تلك السياسة على المدى القريب والبعيد، كما قارن بين السياسة الحسينية وسياسة بعض ارباب الديانات حيث قارن بين الحسين والنبي يحي بن زكريا، والمسيح عيسى بن مريم، كما تناول اثر المأتم الحسينية في بناء شخصية الفرد المنتمي لمذهب أهل البيت.

واستخدم الباحث العديد من المصادر اثناء تحليله ونقده لتلك الدراسة ابرزها مقتل الحسين لأبو مخنف، وتاريخ اليعقوبي، وتاريخ الطبري، وغيرها من المصادر والمراجع.

وتوصل الباحث الى العديد من النتائج ابرزها: وجد ماربين ان التضحية في النفس والاهل والاصحاب والمال سياسة يمكن تجني ثمارها تجنيه الجيوش الكبيرة، ويبقى اثرها على مدى الاجيال دون أن يطمس. كما ان تضحية الحسين جاءت لإعادة الحياة الى الدين الاسلامي، الذي حاول بني أمية جاهدين من أجل طمسه، من خلال التشكيك في نبوة النبي الاكرم. وللمأتم الحسينية الاثر الذي لا تضاهيه كل الدروس والاجتماعات، فقد كانت ولا زالت سياسة تشحذ الهمم لدى المقاتلين، وأصحاب الثورات.

الكلمات المفتاحية: السياسة، الحسين، الشهادة، المستشرق، واقعة

المقدمة

تشخص ابصار الرعية صوب قادتهم وأبطالهم، ويمجدون بهم تقديرا لتضحياتهم وشجاعتهم في سبيل اعلاء شأن بلادهم، وهكذا يتبادل هؤلاء القادة والابطال الادوار فيما بينهم في كل مدة من الزمن، فيظهر قادة وأبطال جدد، الا في القضية الحسينية فإن الخلود رديفها الى الابد، فالحسين(عليه السلام) منذ ان ضحى بدمه الطاهر، وأهل بيته، وأصحابه اصبح ذلك الدم الطاهر والمنتصر على السيف، تلك التضحية نبراسا للثوار في شتى انحاء العالم ينتهلون منه الصبر وقوة البأس والشجاعة في ثوراتهم ضد الطغاة والظالمين.

والمستشرقون أدلوا بدلوهم في تلك القضية بين منصف ومجحف، وامتاز المستشرق الالماني المسيو ماربين عن باقي المستشرقين بتناوله لتلك القضية من خلال الدراسة الموضوعية والمنصفة، وإن وجد فيها بعض الهفوات التي لا تقدح بتلك الدراسة، ووسم دراسته بالسياسة الحسينية، تناول فيها شخص الامام الحسين وصفاته النبيلة، والسياسة التي اتبعها مع بني امية اصحاب القوة والسلطة، وقارن بين سياسة الامام علي وسياسة الامام الحسين(عليه السلام)، ودرس اثر تلك السياسة على المدى القريب والبعيد، كما قارن بين السياسة الحسينية وسياسة بعض ارباب الديانات حيث قارن بين الحسين والنبي يحي بن زكريا، والمسيح عيسى بن مريم، كما تناول اثر المآتم الحسينية في بناء شخصية الفرد المنتمي لمذهب أهل البيت، وقسم الباحث دراسته الى عددا من الفقرات استوحاها من دراسة المستشرق بدأت بالتعريف بشخصية الامام الحسين (عليه السلام)، وتنتهي بالفقرة الخامسة نتائج السياسية الحسينية على المدى القريب والبعيد.

واستخدم الباحث العديد من المصادر اثناء تحليله ونقده لتلك الدراسة ابرزها مقتل الحسين لأبي مخنف، وتاريخ اليعقوبي، وتاريخ الطبري، وغيرها من المصادر والمراجع.

وأخيرا يرجوا الباحث من الله تعالى التوفيق في عمله المتواضع هذا وشفاعة المصطفى وأهل بيته الاطهار.

تناول المستشرق الالماني مسيو ماربين[1] شخصية الامام الحسين(عليه السلام) كشخصية سياسية تألقت واحتلت مكانة مرموقة بين المسلمين من خلال اعتمادها سياسة المظلومية، وتعرية خصومه بني امية، واظهار حقيقتهم وسعيهم لطمس مبادئ الاسلام، وتبنى ماربين منهجية الاستشراق المنصف مقارنة مع منهج العديد من المؤرخين المسلمين في دراسة الامام الحسين(عليه السلام)، فقد خط بقلمه كلمات تليق بشخص الحسين طالما افتقدتها الاقلام الاسلامية التي تدعي خروج الحسين(عليه السلام) على خليفة المسلمين يزيد خلطا للأوراق، وبيان خطأه بهذا الخروج متناسين أفعال خليفة المسلمين المزعوم، واستخفافه بمبادئ الاسلام، بإقدامه على تناول الخمر واللعب بالكلاب والقرود، وانغماسه باللهو والترف والاسراف، ويمكن تقسيم بحث ماربين الى عدة فقرات على النحو الاتي:

اولا: التعريف بشخصية الامام الحسين(عليه السلام)

ابتدأ ماربين بحثه بذكر نسب الحسين(عليه السلام)، وصفاته بقوله:" الحسين بن علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف هو سبط محمد المتولد من ابنته وحبيبته فاطمة ويمكننا القول بأنه كان جامعا للأخلاق والصفات المستحسنة عند العرب في ذلك الزمان ووارثا للشجاعة من أبيه وأعلم المسلمين بأحكام دين جده وحاويا بدرجة كاملة للجود الذي هو احب الصفات وكان طلق اللسان فصيح البيان للغاية اتفق المسلمون بلا مخالف على حسن العقيدة في الحسين حتى ان الطوائف التي تذم أباه وأخاه تمدحه وتثني

(1) ماربين: مستشرق ألماني له كتاب السياسة الإسلامية، حضر المجالس الحسينية في الهند، وإيران، ونشرت له صحيفة الحبل المتين الإيرانية رسالته الموسومة(السياسة الإسلامية المبنية على فلسفة الإسلام)، وتحت عنوان الثورة الكبرى او السياسة الحسينية. ينظر: مركز الأبحاث العقائدية، موسوعة من حياة المستبصرين، 187/1.

عليه"[1]، ويمكن من خلال هذا النص أن نصف دراسة ماربين بأنها دراسة منصفة واقعية في أغلب جوانبها درست شخصية الحسين بموضوعية وحيادية عالية، اغدقت عليه ما يستحقه من الصفات التي تستحقها بحق، واشار بوضوح الى عمق العلاقة التي تربطه بأسرته بيت النبوة والطهارة(جده وامه وابيه)، والشجاعة والعلم والفصاحة، والكرم، وحب الناس لشخصه حتى المخالفين لأبيه واخيه، ويقصد هنا الخوارج، وهذا فيه كلام فلا يمكن لمبغضي علي، والحسن ان يكونوا محبين للحسين، ودليل ذلك ان من دعاه للحضور الى الكوفة قد تخلوا عنه كما تخلوا عن الحسن وداهنوا معاوية وهم الذين قبلوا التحكيم، ثم انسلخوا منه، والنص التالي يثبت ذلك:" وكتب شبث بن ربعي وحجار بن ابجر ويزيد بن الحارثٍ، وزيد بن رويم، وعزرة بن قيس، وعمرو بن الحجاج الزبيدي، ومحمد بن عمير التميمي، اما بعد فقد اخضر الجناب واينعت الثمار وطمت الجمام فاذا شئت فاقدم على جند لك مجند والسلام عليك"[2]، ويتضح من ذكر هذه الاسماء البعد العقائدي بينهم وبين أهل بيت النبي فهم تجار للحروب وينضوون تحت راية الذي يدفع اكثر ويمني بالجاه، لهذا لا يمكن قبول هذا القول للمستشرق ماربين.

وحصلت الخيانة قبل مقدم الحسين الى الكوفة حينما كان فيها مسلم بن عقيل (عليه السلام) ولو كان الناس كما يقول ماربين لما حصل الآتي:"...فأبى عبيد الله، وعقد لشبث بن ربعي لواء فأخرجه، وأقام الناس مع ابن عقيل يكبرون ويثوبون حتى المساء وأمرهم شديد فبعث عبيد الله الى الاشراف فجمعهم اليه ثم قال اشرفوا على الناس فمنوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة واهل المعصية الحرمان والعقوبة والمزهم فضول الجنود اليهم من الشام اليهم... فقال ايها الناس الحقوا بأهاليكم ولا تعجلوا الشر... حتى امسى ابن عقيل وما معه ثلاثون نفسا في المسجد"[3]، هكذا هي القلوب والعقول التي بايعت مسلم وقبلها راسلت الحسين لم يثبت الإيمان فيها ولا يمكن ان تفرط بالمغانم، كما لا يمكن ان تقف بوجه الطواغيت وهي مرعوبة منهم.

ويعقد ماربين مقارنة بين السيد المسيح(عليه السلام) والامام الحسين(عليه السلام) يعتمد فيها على الشيعة، واعتقادهم بالإمام الحسين قائلا: "... ولكن الذي نقدر ان نكتبه في كتابنا بكمال الطمأنينة وبلا خوف المعارض هو ان تابعي علي يعتقدون في الحسين اكثر مما تقوله النصارى في المسيح فكما اننا نقول إن عيسى تحمل هذه المصائب لتكفير السيئات هم يقولون ذلك في الحسين ويعدونه الشفيع المطلق يوم القيامة"[4]، ويبدو ان قصد ماربين يكمن في الوجاهة وعلو السمو بين الشيعة، ويمكن ملاحظة الشبه في الظروف التي احاطت بالأثنين، لا سيما قلة الناصر، والشبه الاخر يكمن في حسن العاقبة للطرفين فقد رفع الله تعالى عيسى(عليه السلام) الى السماء، وأصبح الحسين(عليه السلام) قبلة للمؤمنين الناشدين وجه الله تعالى والطمأنينة، والشفاعة.

ثانيا: السياسة العلوية، والسياسة الحسينية

يعقد ماربين مقارنة بين سياسة الحسين(عليه السلام)، وسياسة ابيه الامام علي(عليه السلام) فيها شيء من المبالغة وقلة الدراية فيقول:" والشيء الذي لا يقبل الانكار ابدا إذ قلنا في الحسين هو انه كان في عصره اول شخص سياسي، يمكن ان نقول انه لم يختر احد من ارباب الديانات سياسة مؤثرة مثل سياسته، ومع ان اباه علياً هو حكيم الاسلام وحكمته وكلماته الشخصية لم تكن بأقل مما هو لسائر حكماء العالم المعروفين، ولم يظهر منه مثل السياسة الحسينية"[5]، ويظهر ان ماربين على الرغم من كلامه في حق الامام علي(عليه السلام)، واعتباره من حكماء العالم المعروفين وينحو في ذلك منحى المستشرق الالماني رايسكة فهو في نظره أفضل أمير عرفه العالم الإسلامي مقداماً، عادلاً، وانه اضطر لان يناضل ما يقرب من ربع قرن دفاعاً عن حقه في الخلافة، وقارنه (بماركوس أورليوس)[6] الفيلسوف المتربع على العرش، ويعد وصول بني أمية إلى السلطة، وقصة شيعة علي المأساوية مشيئة إلهية، كما يصف كفاحه ضد معاوية

(1) السياسة الحسينية، عن اقناع اللائم، ص242، 241.
(2) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص16؛ الطبري، التاريخ، 262/4.
(3) ابو مخنف، المصدر نفسه، ص44؛ الطبري، المصدر نفسه، 4/ 277.
(4) السياسة الحسينية، عن اقناع اللائم، ص242.
(5) السياسة الحسينية، ص242.
(6) ماركس أورليوس: انطونيوس اوغسطس الإمبراطور الروماني السادس عشر وخامس الأباطرة الرومان الانطونيين ولد عام 121م الفيلسوف أشهر كتبه تأملات توفي عام 180م وهو أبو الإمبراطور كومودوس. ينظر:\http://ar.wikipedia.org\wiki اوريليوس ماركوس.

تجسيدا لانتصار الحيلة على القوة، والباطل على الحق[1]، ولكن رغم هذا الاتفاق على شخصية الامام علي(عليه السلام) الا اننا نجد ماربين يفضل الامام الحسين(عليه السلام) على والده في السياسة التي اتبعها مع يزيد، ويعتقد الباحث ان ماربين لم يكن صائباً في حكمه كون الحسين الامتداد الطبيعي لعلي(عليه السلام)، وسياسته نابعة من هذا الامتداد، ويجب ان نقول ان الاختلاف في السياسة نابع من الظروف الانية التي تحتم على المتصدي ان يأتي برؤى سياسية جديدة لكي تواكب المستجدات وهذا لا يعني تفوق طرف على اخر، لا سيما اذا كانوا وحدة واحدة غير متشضية في الدين والسياسة، ومن هنا لا يمكن الركون لهكذا مقارنة سياسية، وفي الوقت نفسه نقول لقد اثمرت السياسة الحسينية عن ثورة امتدت وستمتد نتائجها الى يوم القيامة، وهي تحمل بين طياتها مشعل الحرية والتحرر والوقوف بوجه الطغاة، ويحاول ماربين ان يجد تبريرا لأطروحته من خلال الوغول في العلاقة التي ترتبط بها اسرة بني هاشم والاسرة الاموية بقوله:" ولأجل اثبات هذه المسألة يلزم الالتفات قليلا الى تاريخ عرب قبل الاسلام فنرى انها كانت قرابة بين بني هاشم وبني أمية اي أنهم بنو اعمام لان امية وهاشم انجال عبد مناف ومن قبل الاسلام كان بينهم نفور وكدورة بدرجة متناهية... وفي بدء الاسلام ازدادت العداوة بين بني هاشم وبني امية الى ان فتح النبي محمد مكة وأدخل في طاعته وتحت امره عموم قريش وبني امية وفي الواقع استولى على رياسة العرب الدينية والدنيوية فلأجل ذلك ارتفع قدر بني هاشم بين العرب وأطاعتهم بنو امية وأضرم هذا التقدم في الباطن نار الحسد لبني هاشم في صدور بني أمية... ولما رأوا انفسهم في المقامات العالية ووطدوا مقامهم في الجاه والجلالة اظهروا تمردهم عن احكام الاسلام حتى انهم كانوا في المحافل يستهزئون بدين جاء به بنو هاشم"[2]، ويتضح أن ماربين قد استند في تفضيل سياسة الحسين(عليه السلام) على اباه في ضوء هذه العلاقة التي ما فتئت تهدأ بين الطرفين، ونرى تقلب الغلبة فيها بين الطرفين حسب الظروف التي تمر بها الامة، وكأن تلك العلاقة هي التي صقلت الحسين(عليه السلام) سياسيا، والحقيقة هي ان الأجواء السياسية ايضا في تقلب مستمر، ولم تكن السلطة بيد الحسين كما كانت لأبيه فالإمام علي(عليه السلام) كان مسؤولا عن الحفاظ على هيبة الدولة وحدودها من اطماع الطامعين إضافة لحفاضه على الدين، بينما الحسين(عليه السلام) لم يكن صاحب سلطة، ولم يفكر في ان يكون صاحب السلطة، لكنه وجد الدين في خطر محدق جراء سياسة بني امية، ولم يكن امامه سوى الشهادة ليحي الدين من جديد، وهذا ما ذكره ماربين بصراحة متناهية بعد ان أسهب في شرح تلك العلاقة العدائية ووضح نوايا بني امية بالقضاء على بني هاشم، ومحوهم، وان كان بيت ابو طالب هو المقصود من بني هاشم، وبني علي الذين تمحورت العداوة بينهم دون سائر بني هاشم فيقول ماربين:" اذا تأمل المنصف بدقة في حركات تمثيل ذاك الدور وتقدم مقاصد بني أمية وكيفية تزعزع المسلمين واستيلاء بني امية على جميع طبقات المسلمين يحكم بلا تردد ان الحسين أحيا بقتله دين جده وقوانين الاسلام ولو لم تقع هذه الواقعة ولم يحصل ذاك الاهتزاز الكهربائي في المسلمين من قتل الحسين لم يبق الاسلام على حالته"[3]، ولعل الذي تبلور في هذا النص من فهم كامل لأثر الثورة الحسينية على الاسلام خير برهان على صدق القول بأن الحسين(عليه السلام) قد احيى الدين بدمه الطاهر، اما سبب العداء لآل ابا طالب وآل علي فالقصد واضح تماما لان ابو طالب قد وفر الحماية للنبي الاكرم(ص) ومنع بني امية وسواهم من قريش من الاقدام على ايذائه او القضاء على الدعوة، وآل علي هم الامتداد لما جاء به ابو طالب فهم حماة الدين والمدافعين عنه.

ثالثا: سياسة الحسين مع بني أمية

ويرى ماربين ان الخطأ السياسي الكبير الذي وقع فيه بني امية هو اقدامهم على قتل الحسين(عليه السلام)، وبين ذلك قائلاً:"...وكانت هذه اكبر الغلطات السياسية لبني أمية وبهذه الهفوة السياسية محو اسمهم ورسمهم من صفحة عالم الوجود، اكبر دليل على ان الحسين كان ذاهبا لمصرعه ولم يقصد السلطنة والرياسة أبدا هو انه مع ذلك العلم وتلك السياسة والتجربة التي اكتسبها في عهد ابيه واخيه في قتالهم مع بني أمية كان يعلم انه لفقده الاستعدادات اللازمة مع تلك القوة التي كانت ليزيد لا يمكنه المقاومة" [4]، ويبدو من هذا النص

(1) فوك، تاريخ حركة الاستشراق، ص117؛المنجد، المستشرقون الالمان، ص16.
(2) السياسة الحسينية، ص244، 243.
(3) المرجع نفسه، ص245.
(4) السياسة الحسينية، ص246.

ان ماربين قد أصاب كبد الحقيقة فقد جلبت ثورة الحسين(عليه السلام) وخبر استشهاده الويلات والثورات المتتالية على بني امية حتى انتهت بزوال دولتهم، وبدأت بحركة التوابين[1] ووقعة الحرة [2]، وثورة المختار[3]، وثورة زيد الشهيد [4]، واكد ماربين على القصد الرئيسي لسياسة الحسين(عليه السلام) في صراعه مع بني امية وهو الشهادة مع أهل بيته واصحابه، لعلمه المسبق بالقوة التي يمتلكها بني أمية، وخذلان الناصر التي خبرها في صراع اباه وأخاه مع بني أمية، فهو وان ارسل مسلم بن عقيل(عليه السلام) ليعد له العدة في الكوفة كان على يقين من خلال خبرته السياسية ان مسلم لن يأتي بجديد والدليل على عدم اكتراثه لذلك وصول الاخبار اليه بمقتل مسلم وهانئ بن عروة، وهو لا يزال في الطريق ويمكنه العودة، وخبر احتجاج اخوان مسلم على العودة[5] لا يصمد ابدا امام الواقع الذي جاء من اجله الحسين، وكان مصمما عليه على الرغم من نصيحة الناصحين بضرورة التخلي عن الرحيل الى العراق محتجين عليه بما جرى لأبيه وأخيه على ايديهم[6]، ويعتقد ماربين ان الحسين كان يمكن ان يجمع جيشا كبيرا لقتال بني أمية لكن السياسة التي رسمها ووعده بها جده وابيه فرضت عليه التخلي عن هذه الفكرة لتكون ثورته اشد وقعة في نفوس المسلمين بقوله:" ومن الواضح انه مع تلك المحبة التي كانت للحسين في نفوس المسلمين في ذلك الزمن لو صمم على جلب قوة لتمكن من جمع جيش جرار ولو قتل على تلك الحالة لقيل انه قتل في سبيل الملك ولم تحصل له المظلومية التي انتجت تلك الثورة العظمى فلهذا لم يبق معه سوى الاشخاص الذين لم يمكن انفكاكهم عنه كأولاده واخوته وأبناء اخوته وأبناء اعمامه وبعض خواص اتباعه حتى ان هولاء كلفهم بالانفكاك عنه فلم يقبلوا"[7]، ولا يمكن قبول هذا الرأي الذي يعتمده ماربين لان الحسين(عليه السلام) لو استطاع ان يجمع الجيش الجرار كما يدعي لما توانى عن ذلك لأن ذلك كفيل بتحقيق النصر على بني امية، والحفاظ على حياته كقائد للامة يمكنه ان يعيد الحياة الى الاسلام بعد تخريبه من قبل بني امية، ولكن اليأس من تحشيد هذا الجيش هو الذي دفع بالحسين(عليه السلام) الى التوجه صوب هذه السياسة المجدية التي ألبت الرأي العام الاسلامي ضد بني امية وعجلت بالإطاحة بها، وكان تخطيط الحسين(عليه السلام) ان تبقى هذه السياسة منتجة حتى بعد استشهاده باعتماده على ما سيجري على اهله من الاسر والسبي وحرق الخيم وهذا ما تبناه ماربين بقوله:" وكان الحسين بقوة العلم والسياسة لم يفتر آناً عن افشاء مظالم بني أمية وإظهار نواياهم السيئة في عداوتهم لبني هاشم وآل محمد [ومنها] انه لعلمه بعداوة بني أمية له وأهل بيته كان يعلم بأنه بعد قتله سيأسرون نساء وأطفال بني هاشم الذين هم آل محمد وانها ستؤثر هذه الواقعة في قلوب المسلمين خصوصا العرب منهم بدرجة تفوق التصور كما جرى ذلك فحركات ظلم بني أمية وعدم رحمتهم لحريم وصبية نبيهم أثرت في قلوب المسلمين تأثيرا لم يكن بأقل من تأثير قتل الحسين وأصحابه"[8]، ويتضح ان ماربين قد ادرك قوة السياسة التي اتبعها الحسين(عليه السلام) في التعامل مع بني أمية والتي أفضت الى نتائج باهرة تجلت في فضح المآرب الخبيثة والسياسة الصارمة بحق المعارضين للحكم الأموي دون الالتفات الى ان القتلى والاسرى هم آل بيت النبي(عليه السلام)، وما تملك من قدسية بنفوس وضمائر المسلمين، وأخذت الضغوطات والتأنيب تتوالى على يزيد بن معاوية حتى من داخل اسرته لقتله الحسين وسبيه لعياله، ولم يكتفِ الحسين بذلك فقد صرح مرارا وتكرارا انه ذاهب الى

(1) حركة التوابين، جاءت كردة فعل على استشهاد الإمام الحسين(عليه السلام) في كربلاء حيث ندم شيعة الكوفة على استدعائهم للإمام ثم التخلي عنه وتركه في الميدان فنشأت حركة التوابين تنادي بالتكفير عن الخطأ والثأر من قتلة الحسين، وحصلت عام (65ه/684م). ينظر:الطبري، التاريخ، 4/426-435، 4/451-473؛ ابن مسكويه، تجارب الأمم، 2/107-128؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 4/158-164، 4/175-188.

(2) وقعة الحرة: وحدثت بين أهل المدينة من جهة، وبين يزيد بم معاوية والامويين من جهة اخرى، عام 63ه، بعد ان نقض أهل المدينة البيعة ليزيد لما كان عليه من سوء، وقتله الحسين(عليه السلام)، فأرسل لهم يزيد جيشا بقيادة مسلم بن عقبة المري، وانتهت بمقتل عدد كبير من الصحابة، وابناء الصحابة، واستباحة المدينة لثلث ايام. ينظر: اليعقوبي، التاريخ، 2/ 250-252؛ الطبري، التاريخ، 4/ 270-274.

(3) المختار الثقفي: بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي، ولد العام الأول للهجرة، ورحل مع أبيه إلى المدينة تاركا الطائف، غادر المدينة إلى العراق فسكن البصرة ثم الكوفة لينطلق منها بالثورة على بني أمية رافعا شعار يا لثارات الحسين، قتله مصعب بن الزبير عام(67هـ/م). ينظر: البلاذري، انساب الأشراف، 6/375؛ المقريزي، إمتاع الأسماع، 12/250.

(4) ثورة زيد الشهيد: جرت بقيادة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عام 122ه، ضد الحكم الاموي، في خلافة هشام بن عبد الملك، وجرت احداثها في الكوفة، بدأت بصمود زيد ورفاقه حتى اصيب بسهم مات على اثره، وانتهت بمقتل زيد وصلبه في كناسة الكوفة بع استخراجه من قبره، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، 5/ 325-327؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، 8/ 285-294.

(5) السياسة الحسينية، ص245.

(6) المرجع نفسه، ص245.

(7) المرجع نفسه، ص245.

(8) السياسة الحسينية، ص247.

مصرعه، ولم تثنه نداءات الراجين له بعدم التوجه الى العراق فيمثل ماربين هذا الموقف بأجمل تمثيل فيقول:" فلهذا كان يقول الحسين علنا لأصحابه الذين ينهونه عن السفر الى العراق انا ذاهب للقتل ولما كانت أفكارهم محدودة ولم يطلعوا على مقاصده السامية كانوا يصرون على منعه حتى كان جوابه الاخير لهم هكذا شاء الله وأمرني جدي فكانوا يجيبونه بتأكيد اذا كنت ذاهبا للقتل فلا تأخذ النساء والاطفال معك فكان يجيبهم قد اراد الله ان يكون عيالي اسرى ولما كان الحسين يومئذ رئيسا روحانيا للمسلمين لم يجدوا لتلك الكلمات جوابا"[1]، ويجزم ماربين ان خروج الحسين(عليه السلام) لم يكن من أجل السلطنة، وقد كرر ذلك في اكثر من موضع، فرفض نصيحة أخاه محمد بن الحنفية، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وغيرهم بعدم المسير الى العراق [2]، ولما يئسوا عن ثنيه طلبوا منه ان لا يصطحب النساء والاطفال فأجابهم: " قد شاء الله ان يراهن سبايا"[3]، وهو في هذا التوصيف الدقيق والمتيقن من الشهادة، وسبي نسائه وأطفاله يضع النقاط على الحروف بأني ذاهب الى مصير قد كتبه الله تعالى لي ووعدني به جدي النبي الاكرم(صلى الله عليه وآله)، وقد اعتبر ماربين جميع الناصحين قاصرين عن فهم المغزى الرئيسي للتضحية بالنفس والعيال، وكان صائبا في ذلك لان الحسين (عليه السلام) امام معصوم يسير بهدي الله، وحتم عليه هذا الهدي ان يكون على الصورة التي ارادها الله تعالى له ولعياله ليبقى دين الاسلام حيا الى ابد الابدين.

وأمعن الحسين(عليه السلام) في فضح بني امية، وإظهار وجههم القبيح الى المسلمين، ولم يتوانى عن التضحية برضيعه ليعزز هذه الفرضية عندما طلب له الماء فردوا عليه بسهم في رقبته، وعبر عن ذلك:"...وهذه السياسة البالغة الى النهاية وقوة القلب والاستماتة تثبت سلوكه في طريق افكاره السامية حتى انه في اخر لحظة من حياته اتى بعمل في مسألة طفله الرضيع حير عقول الفلاسفة ففي تلك الساعة العصيبة مع تلك المصائب المفجعة وتراكم الافكار والعطش وكثرة الجراحات ايضا لم يصرف نظره عن أفكاره السامية مع انه كان يعلم أن بني أمية لا يرحمون طفله الصغير ولكنه لتعظيم مصيبته حمله على يديه وتظاهر بطلب الماء فسمع الجواب بالسهم... وأن لا يتصوروا انه كان اقدام يزيد على هذه الفجيعة اضطراراً لأجل الدفاع عن نفسه لأنه قتل هذا الطفل الرضيع في مثل هذا الحال مع تلك الوضعية المدهشة لا تظهر الا وحشيتهم وعداوتهم...وهذه النكتة وحدها ترفع الستار عن وجه قبائح اعمال بني امية ونواياهم الفاسدة وعقائدهم السيئة"[4]، حقا ان هذه السياسة قد حيرت عقول الفلاسفة فكيف يضحي الحسين برضيعه؟ والكل يعي عمق المحبة التي تكون للطفل الجديد من لدن ابويه، ولكن الحسين اراد ان يضرب مثلا في التضحية يصل الى فلذة الكبد في سبيل الاسلام، كما انه اراد اظهار الوجه البشع لبني امية الذين لا يضعون اعتبارا لكل القيم الانسانية وان كان التعامل مع طفل رضيع[5]، والحسين يعي جيدا ان طفله مقتول لا محالة، الا انه اراده حجة امام الجيش ولتكون قصته موروثا يبين مدى الظلم الذي تعرض له، ولم يكتفِ الحسين بهذه السياسة كما يشير ماربين بل تعداها الى صيغة المفاوضات السياسية بينه وبين بني أمية حتى لا يترك لهم حجة ابدا، فأخذ بمفاوضتهم من اجل الخروج من العراق، ويذكر ماربين ذلك بقوله: " ولما حاصروه في البيداء أظهر انهم لو تركوه فهو مستعد لأن يخرج بعياله وأطفاله من سلطنة يزيد أي من الممالك الاسلامية وهذه النكتة وحدها التي تثبت سلامة نفس الحسين التي اثرت في قلوب المسلمين غاية الأثر ضد بني أمية "[6].

رابعا:

ويعتقد ماربين ان سياسة الحسين(عليه السلام) في تسليم نفسه للقتل تربوا وتسموا على كل التضحيات التي قدمها اصحاب الديانات حتى من الانبياء والرسل وله وجهة نظر رائعة في هذا الموضوع يعبر عنها قائلا:" قبل الحسين قتل ايضا كثير من الرؤساء الروحانيين وأرباب الديانات ظلما وقامت الدعوة من بعد قتلهم وسل اتباعهم السيوف على اعدائهم كما تكرر ذلك في بني اسرائيل وقضية يحيى

(1) المرجع نفسه، ص248.
(2) الطبري، التاريخ، 4/ 287-289؛ المسعودي، مروج الذهب، 3/ 54-57.
(3) القرشي، حياة الامام الحسين، 2/ 16.
(4) السياسة الحسينية، ص249، 248.
(5) ابو مخنف، مقتل الحسين، ص118؛ اليعقوبي، التاريخ، 2/ 245؛ الطبري، التاريخ، 4/ 313؛ ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص69.
(6) السياسة الحسينية، ص250.

هي احدى الوقائع التاريخية الكبرى[1] وتلك الخطة التي سلكها اليهود مع السيد المسيح[2] الى ذلك الزمان لم يقع نظيرها ولكن لواقعة الحسين مزية على جميع تلك الوقائع. لم ير في التاريخ ان احد الروحانيين وأرباب الديانات سلم نفسه للقتل عالما عامدا لأفكار عالية متأخرة...تأهب الحسين للقتل سنين متوالية ونظره ممدود الى مقاصد عالية جدا ولم يوجد في التاريخ أحد سلم نفسه للقتل عالما عامدا لترويج دينه للمستقبل سوى الحسين"[3]، ويبدو ان ماربين تعمد الى عقد مقارنات بين الحسين وباقي الشخصيات المقدسة ووصل الى الحد بالمقارنة الى الانبياء والرسل فنراه يذكر قصة نبي الله يحيى(عليه السلام) وما جرى عليه من ظلم وحيف عندما تم قتله وقطع رأسه واهدائه الى البغايا، ثم يذكر قصة نبي الله عيسى بن مريم(عليه السلام) فهو يعتقد اعتقاد المسيحين ان من صلب هو المسيح عيسى(عليه السلام)، وما يعنينا هنا ما حصل بعد القتل، وما أعد له المقتولون سلفا في سبيل ديمومة دينهم، والأثر الذي تركه ذلك القتل على نفوس وعقول معتنقي دياناتهم من بعدهم، فالحسين يعد العدة لهذه الواقعة منذ زمن بعيد وهناك روايات تشير ان جده النبي الاكرم(صلى الله عليه وآله) قد ذكر ذلك منذ ان كان الحسين طفلا وعهد الى ام المؤمنين ام سلمة بحديث القارورة[4]، وقد تجلى هذا الاعداد الروحي في واقعة الطف حيث الشهيد المقتول ظلما المتيقن من ان مظلوميته مع أهل بيته ستجني ثمارها الاجيال اللاحقة لتكون نبراسا للتضحية والفداء، ورفض الخنوع لإرادة الظالمين، وهكذا نجد ماربين يعطي افضلية للحسين(عليه السلام) على انبياء الله من جهة الاعداد الروحي، والنتائج المبهرة التي حققتها الثورة الحسينية.

استمر ماربين في التركيز على الميزة التي تمتع بها الحسين(عليه السلام) على باقي أرباب الديانات وسنكتفي بذكر ما جاء به في هذا الصدد دون تعليق لان ليس بحاجة لذلك فيقول:" ان للمصائب التي تحملها الحسين في سبيل إحياء دين جده مزية على السالفين من ارباب الديانات ولم ترد على احد من الماضين وعلى فرض القول بأن اشخاصا اخر خسروا نفوسهم أيضاً في طريق الدين لكنهم ليسوا كالحسين فالحسين جاد بنفسه العزيزة وبجميع أبنائه واخوته وأبناء اخوته وأبناء أعمامه وخواص أحبابه وأقربائه جاد بالمال سلم عياله للأسر... وهجوم هذه المصائب المترادفة مختص بالحسين وحده في تاريخ الدنيا... وعلموا ان بني امية هم مخربو الاسلام فردوا بدعهم ومجهولاتهم وسموهم الظالمين والغاصبين وبالعكس بنو هاشم فسموهم مظلومين مستحقين للرياسة وعرفت فيهم حقيقة روحانية الاسلام كأنما أخذ المسلمون حياة جديدة وظهر لروحانية الاسلام رونق جديد... رياسة روحانية الاسلام التي كانت قد زالت دفعة واحدة والمسلمون كأنهم قد نسوا جهة الروحانية الاسلامية– تجددت بنورانية شفافة. كما كانت عظمة مصائب الحسين على جميع مصائب روحانيي السلف مسلمة كذلك كانت للثورات التي ظهرت بعد واقعة الحسين مزية على ثورات السلف وكان امتدادها اكثر وآثارها أعظم. ومن هذا الوجه ظهر للعالم أجمع مظلومية آل محمد"[5].

خامسا: نتائج السياسة الحسينية على المدى القريب والبعيد

وعرج ماربين على نتائج الثورة الحسينية بالنسبة الى أهل البيت من ذرية الحسين (عليه السلام) الذين ينعتهم دائما ماربين ببني هاشم، وكيف سلبت السلطة من بني أمية سنة 132هـ، والمبرر الأكثر واقعية لسقوط دولتهم هو من ثمار ونتائج الثورة الحسينية فيذكر ذلك قائلا: "أول نتيجة لهذه الثورة أن الرياسة الروحانية التي لها أهمية عظمى في عالم السياسة تجددت في بني هاشم وعلى الأخص في البقية من آل الحسين والى الأن ينظر جميع المسلمين الى بني هاشم وخصوصا ذرية الحسين بنظر الروحانية ولم تطل المدة حتى زالت تلك السلطنة ذات السعة والاقتدار عن آل يزيد ومعاوية وفي اقل من قرن سلبت السلطة من بني أمية قاطبة وانمحى ذكرهم واضمحلوا بحيث أنه لم يبق لهم اليوم اسم ولا رسم ولا ذكر وأينما ذكر لهم في متون الكتب اسم يقرنه المسلمون بكلمة شماتة وهذه كلها نتائج

(1) للاطلاع على قصة نبي الله يحيى بن زكريا(عليه السلام) ينظر:الطبري، التاريخ، 1/ 419، 418؛ المسعودي، مروج الذهب، / 1/ 76، 75.
(2) للاطلاع على قصة نبي الله عيسى(عليه السلام) ينظر: اليعقوبي التاريخ، 1/ 68-80؛ الطبري، التاريخ، 415/1.
(3) السياسة الحسينية، ص250، 249.
(4) للاطلاع على حديث القارورة. ينظر: الطبراني، المعجم الكبير، 3/ 110؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك، 4/ 129؛ ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، 14/ 192؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 6/ 257.
(5) السياسة الحسينية، ص251، 250.

السياسة الحسينية"[1]، ويظهر من هذا النص أهمية الثورة الحسينية لأهل البيت على وجه خاص حيث انبثقت منها روحانية مقدسة لآل الحسين في قلوب المسلمين لا تزال مردوداته الايجابية الى الأن، على الرغم من الفارق الزمني الكبير الذي حدثت فيه الثورة، فقد توالى أئمة أهل البيت الواحد تلو الأخر تبعا للنص الذي جاء عن النبي الأكرم (ﷺ)[2]، ولم ينقطع ذلك الأمر بعد الغيبة الكبرى للإمام المهدي (عج)، على الرغم انه يمثل خاتمة أئمة أهل البيت المعصومين وبغيبته بدأ المسلمون بجني الوجه العام للثورة الحسينية، فقد مهدت الثورة الخطوط العامة للحفاظ على الدين المحمدي الأصيل، من خلال الوكلاء والمجتهدين ليفقهوا الناس في دينهم، وقد كانت ثمار الثورة في كثير من الاحيان حلولا جذرية لمشاكل كبيرة واجهت الامة من خلال استلاهم اهداف الثورة الحسينية في الوقوف بوجه الطغاة الظلمة، واركاعهم، وهذا ما حصل فعلا لبني أمية ودولتهم التي تهاوت بفعل الثورات واخرها الثورة العباسية التي رفعت شعار الرضا من ال محمد، والانتقام من قتلة الحسين (عليه السلام) في مقدمة الوصول الى رضاهم كما ادعى ارباب هذه الثورة المستغلة لاسم أهل البيت، لا سيما الحسين (عليه السلام)، ولعل اهم عامل في انجاح هذه الثورة هو استغلال مشاعر الناس الناقمة على ال امية لقتلهم الحسين(عليه السلام) واهل بيته وتوظيفه لصالح الثورة العباسية، وهكذا انطمس ذكر بني امية ولم يتبقى لهم سوى دولة في اسبانيا انقرضت هي الاخرى، وأشار ماربين الى هذا الأمر:" مظلومية الحسين كشفت جميع اسرار بني أمية ورفعت الستار عن نواياهم السيئة... وبعد هذه الواقعة أصبح يزيد مرغما على سماع ذكر اسم الحسين وأهل بيت علي... ولما رأى شدة اطراء الناس للحسين وذكر محامده عز اليه ذلك حتى قال يوما كان أحب الي ان يكون الملك والسلطنة للحسين من ان أرى وأسمع لآل علي وبني هاشم هذا التعظيم والتقديس وبالآخرة فلم يزل اولياء الحسين يستفيدون من هذه الثورات وتزيد قوة وعظمة بني هاشم ولم يمض اقل من قرن حتى صارت السلطنة الاسلامية الوسيعة في بني هاشم... ولو وجد لستر حسبه ونسبه عن الناس من شدة الطعن كما هو المشهور ان العائلة القاجارية الذين هم سلاطين ايران اليوم هم من بني أمية ولكنهم ينكرون هذه الشهرة ويتبرأون من هذه النسبة"[3]، ويبدو ان ماربين بعد ان سبر اغوار تأثير الحسين (عليه السلام) وثورته على محو بني أمية من الوجود عنى ببني هاشم الذين استلموا السلطة بالعباسيين ابناء العباس بن عبد المطلب عم النبي الاكرم (ﷺ)، ولعل تبرأ القاجاريين الذي اشار له ماربين لخير دليل على محو اسم تلك الاسرة واقتلاعها من جذورها، على الرغم من الأصوات النشاز التي تتعالى بين الفينة والاخرى في الدفاع عن الامويين وعن سيدهم معاوية' وسيدهم يزيد كما يدعون محاولين ايهام الناس بالأفعال الحسنة لتلك الاسرة، والسبب الذي يدفع بهؤلاء هو الحقد الاعمى على النبي الاكرم واهل بيته الطاهرين.

بعد ان رست الثورة بيد الهاشميين وتمكنوا من إثبات انفسهم بالقوة، تبرؤوا من قادة الثورة ومن الشعار الذي اوصلهم الى السلطة، وأصبح ابناء الحسين (عليه السلام) اول المستهدفين من قبلهم بالسجن والاغتيال والتهميش وبين ماربين ذلك بالقول:" تحلى بنو هاشم بعد قرن بقلادة الملك وكانوا أولاد عم الحسين لا أولاده لأن أولاده كانوا قد اختاروا العزلة وكانت رياسة الاسلام الروحانية على الاطلاق مسلمة لهم. ان ابناء عم الحسين وان يكونوا حازوا السلطنة ببركة ثورات اتباع الحسين لكنهم بعد ان قبضوا على زمامها ورسخت فيها اقدامهم خافوا على مقامهم وسلطنتهم فمنعوا أصحاب تلك الثورات منها منعا شديدا خوفا من ان تعود السلطنة الاسلامية في أبناء الحسين شيئا فشيئا فهدأت فورة تلك الثورات شيئا فشيئا (أولا) للمنع الشديد من أبناء عم الحسين (وثانيا) لاضمحلال بني أمية"[4]، يتحدث ماربين عن تسلم بني العباس بعد الثورة العباسية التي رفعت شعار الرضا من آل محمد[5]، وتمكنت من السيطرة على زمام الامور في الدولة الاسلامية مدعية التفويض الالهي لسلطتهم، وقد استغل بني العباس هذا التفويض ابشع استغلال في عملية القضاء على معارضيهم مهما كانت هويتهم، اما اختيار العزلة من قبل أهل البيت فقد بدأ فعلا منذ عهد الامام زين العابدين علي بن الحسين(عليه السلام) الذي تفرغ للعلم والدرس في مسجد جده في المدينة المنورة، وإعداد الشيعة اعدادا روحيا وعلميا تمكنهم من التمسك بدينهم

(1) السياسة الحسينية، ص252، 251.
(2) الامام أحمد، المسند، 5/ 90؛ البخاري، الصحيح، 8/ 137؛ الطبراني، المعجم الكبير، 2/ 206.
(3) السياسة الحسينية، ص253.
(4) السياسة الحسينية، ص253.
(5) للاطلاع على تفاصيل الثورة العباسية. ينظر: ابن قتيبة الدينوري، الأخبار، ص360-370؛ اليعقوبي، التاريخ، 2/ 341-348؛الطبري، التاريخ 6/ 43-53، 6/ 64-77؛ المسعودي، مروج الذهب، 3/ 236.

فهو لم يشترك في وقعة الحرة التي حدثت عام (63هـ)، وإنما كان بيته ملجأ للهاربين من بني امية، ومنهم مروان بن الحكم[1]، على الرغم من العداء الكبير من بني أمية لأهل البيت، ومقتل الامام الحسين (عليه السلام) لم يكن بعيدا، ولكن أخلاق أهل البيت وهم المستنشقين لعبق النبوة، وأخلاق سيد الاخلاق جدهم النبي الاكرم(صلى الله عليه وآله) جعلتهم يتصرفون بمنتهى النبل في هذا الموضوع، وفي العصر العباسي نهى الامام جعفر الصادق(عليه السلام) عبد الله بن الحسن وأبنائه محمد وابراهيم عن الصدام المسلح مع بني العباس لانهم سيلقون حتفهم على ايديهم[2]، وقبل ذلك رفض الامام الصادق (عليه السلام) تسلم الخلافة من ابو سلمة الخلال[3]، وتفرغ للجامعة الكبيرة التي تخرج منها الأف الطلبة كل يقول حدثني جعفر بن محمد الصادق[4]، وعندما أدرك اتباع أهل البيت عدم امكانية مجابهة العباسيين لجئوا الى اسلوب جديد في الثورة، وقد تنبه بني العباس لهذا الاسلوب الجديد وحاربوه بمنتهى القسوة والحزم، ولكن دون جدوى فيعبر ماربين عن ذلك بالقول:" فلما رأى عقلاء اتباع الحسين وعلي شدة المنع من قبل بني العباس وضعف مادة الثورة علموا ان لا قدرة لهم على مقاومة بني العباس الذي هم في غاية القدرة... فتركوا الثورة ظاهرا وغيروا صورتها باطنا باجتماعهم وتذكر تلك المصائب والفضائع التي وردت على الحسين فأحيوا تلك الثورة العظمى وأظهروها بمظهر جديد...تتبعوا أتباع علي والحسين فإذا ظهرت تابعيتهما على احد يعاملونه معاملة اكبر جان سياسي وبهذا الجرم صلت[صلب] وقتل وجرح وحبس الوف من اتباع الحسين ومع هذه الشدة لم يتمكنوا من قلع مادة الثورة من أتباع علي وكلما ازدادوا شدة ومعارضة ازداد اتباع علي والحسين قوة واشتداداً في الثورة وكانت العاقبة انه بتدابير أتباع الحسين زالت سلطنة هذه الطبقة وتداول السلطنة أولاد الحسين مدة من الزمن"[5]، ويبدو ان ماربين قد تنبه الى السياسة البديلة التي اتبعها شيعة أهل البيت من مزاولة الثورة الاعلامية التي أينعت ثمارها برص صفوف اتباع أهل البيت، وتعاطف الناس، لكن العباسيين تنبهوا لهذه السياسة وبدأوا بمعاقبة اتباع أهل البيت بشتى انواع العذاب وكان اشد العباسيين عليهم الخليفة العباسي المتوكل(232-247هـ) الذي منع الشيعة من زيارة قبر الحسين وعاقبهم بشتى انواع العقاب بعد ان قام بحرث القبر وسقيه بالماء[6]، وعلى الرغم من هذه العقوبات كان أتباع أهل البيت يزدادون قوة وعنادا بوجه السلطات الحاكمة لصالح احياء ذكر الحسين(عليه السلام) وثورته الذي اخذ يرعب العباسيين خوفا من ثورة عارمة، وأشار ماربين الى الحكم الفاطمي الذي أقامه أتباع أهل البيت بلاد المغرب ومصر[7].

انتقل ماربين لذكر عزاء الامام الحسين(عليه السلام)، والأثر الكبير الذي تركه العزاء على أتباع أهل البيت بحيث اصبح سمة لمذهب أهل البيت فيذكر ذلك:" كانت الرياسة الروحانية بعد الحسين في أولاده واحدا بعد واحد وهؤلاء أيضا جعلوا إقامة عزاء الحسين الجزء الأعظم من المذهب وألبست هذه النكتة السياسية شيئا فشيئا اللباس المذهبي وكلما ازدادت قوة اتباع علي ازداد اعلانهم بذكر مصائب الحسين وكلما سعو وراء هذا الأمر ازدادت قوتهم وترقيهم وجعل العارفون بمقتضيات الوقت يغيرون شكل ذكر مصائب الحسين قليلا قليلاً فجعلت تزداد كل يوم بسبب تحسينهم وتنميقهم لها حتى آل الأمر الى ان صار لها اليوم مظهر عظيم في كل مكان يوجد فيه مسلمون"[8]، ويبدو ان ماربين ربط العزاء الحسيني بأئمة أهل البيت التسعة المعصومين من ذرية الحسين الذين آلت لهم الرياسة الروحية للمذهب، وغرسوا في نفوس اتباعهم أن تضحية الحسين (عليه السلام) لا يمكن فصلها عن الحركات التحررية، فأصبح لذكر الحسين (عليه السلام) وقع خاص في نفوس الثوار يلهمهم الصبر على الشدائد وفقدان الأحبة، وقوة الحجة على الاعداء، فعندما يتذكر المؤمن هذه التضحيات أمام عينيه فتهون عليه كل التضحيات ويصبح اقوى ما يكون على اعدائه، ولعل ما حصل في العراق بعد فتوى الجهاد

(1) ينظر: الطبري، التاريخ، 4/ 368؛ ابن الأثير، 4/ 103.
(2) اليعقوبي، التاريخ، 2/ 349.
(3) الطبري، التاريخ، 6/ 80؛، مروج الذهب، 3/ 271.
(4) الكليني، الكافي، 1/ 74؛ أبو نعيم الاصبهاني، حلية الأولياء، 3/ 192؛ يمكن النظر في قول مالك بن انس "ما رأت عيني أفضل من جعفر بن محمد..." كدليل على مكانة الإمام العلمية. ينظر، الصدوق، فضائل الأشهر الثلاثة، ص38؛ ابن عبد البر، التمهيد، 2/ 67؛ ابن شهر أشوب، مناقب آل أبي طالب، 3/ 396،
(5) السياسة الحسينية، ص254.
(6) ابن الاثير، التاريخ، 55/7.
(7) ابن الاثير، التاريخ، 8/ 24-50، 8/ 590.
(8) السياسة الحسينية، ص254.

المقدس لخير برهان على ما نقول فقد كان الحسين وتضحيته نصب اعين المقاتلين والداعمين لهم بالأموال، وتمكن أبناء العراق بفضل هذه التضحيات الجسام ان يقفوا بوجه اعتى أعداء الانسانية وهم يعيدون الأنظار الى تصرفات الحكام الذي ظلموا الحسين، والأئمة من بعده، بعد ان فقد هؤلاء كل ما يمت بصلة الى الانسانية فلا يقيمون اعتبارا لمسلم او غير مسلم طفلا كان او شيخا، او امرأة، ففعلوا كل ما يندى له جبين الانسانية، من ذبح وحرق واغتصاب، وتحطيم الحضارة بكل انواعها، ويرى ماربين ان ذكر الحسين قد زاد من قوة ورقي اتباع أهل البيت، لا سيما بعد تطوير وتنقية الشعائر الحسينية، لتكون مظهرا عظيما انتشر في كل جزء يوجد فيه المسلمين.

أصبحت الشعائر الحسينية ظاهرة لا يمكن الحد منها او التقليل من شأنها، فيصور ماربين أثر تلك الشعائر في كل من الهند والصين، ومدى انتشارها الواسع قائلا:"... حتى انها سرت شيئا فشيئا بين الأقوام وأهل الملل الأخرى خصوصا في الصين والهند. وعمدة اسباب تأثيرها في أهل الهند هو ان المسلمين جعلوا طريق إقامة العزاء مشابها لمراسيم اقامة العزاء عند أهل الهند. قبل مائة سنة لم تكن إقامة عزاء الحسين شائعة في الهند شيوعا تاما وظاهرة علنا وفي هذه المدة القليلة استوعبت بلاد الهند من أولها الى آخرها... وجعلوا يصفون إقامة أتباع الحسين لها بأنها أفعال جنون ولم يقفوا أبدا على مقدار ما أحدثته هذه المسألة من التغييرات والتبديلات في الاسلام. الحس السياسي والثوران والهيجان المذهبي التي ظهرت في هذه الفرقة من إقامة هذه المآتم لم ير مثلها في قوم من الاقوام... كان أتباع علي والحسين في جميع بلاد الهند يعدون على الأصابع واليوم هم في الدرجة الثالثة بين أهل الهند من حيث العدد وكذلك في سائر البلدان"[1]، ويتضح ان ماربين قد سبر اغوار الشعائر الحسينية وأعطاها مكانة كبيرة تستحقها، وجعل منها بابا لنشر الاسلام، ورد على أبناء جلدته الذين وصفوا تلك الشعائر بالجنون بأنهم لا يعرفون هذه الشعائر ولم يطلعوا على اثرها الكبير على ابناء الطائفة، ويرى انها مسؤولة عن كثير من التغيرات السياسية، ويعتبر ما يقوم به اتباع الحسين (عليه السلام) من شعائر اكسبتهم حسا سياسيا وهيجاناً في المشاعر يلهمهم القوة والصبر لا يتوفر في اي قوم من الاقوام، وما حصدته الشعائر الحسينية من أتباع كثر للمذهب يعد بمصاف المعجزات فقد تبوء مذهب أهل البيت مكانة متقدمة بفضل هذه الشعائر من حيث العدة والعدد والمعنويات العالية على الرغم من قوة العدو وضراوته وقدرته المادية.

ويعقد ماربين مقارنة بين المبشرين المسيح، ودعاة فرقة مذهب أهل البيت يجد فرقا كبيرا في الاسلوب وطريقة التأثير في النفوس فيعبر عن ذلك بالقول: " عندما نقيس منهاج دعاتنا [المبشرين] مع صرف تلك القوة والثروة بمنهج دعاة هذه الفرقة نرى ان دعاتنا لم يجوزوا العشر من تقدم هذه الفرقة. رؤساء ديننا وإن كانوا يحزنون الناس بذكر مصائب حضرة المسيح ولكنه ليس بذلك الاسلوب والشكل الذي يتخذه أتباع الحسين. ويحتمل ان يكون السبب في ذلك أن مصائب المسيح في جنب مصائب الحسين لا تكون مؤثرة مشجية للقلب بتلك الدرجة التي لمصائب الحسين على مؤرخينا ان يطلعوا على حقائق رسوم وعادات الأغيار ولا ينسبوها الى الجنون"[2]، هذه ليست المرة الاولى التي يقارن فيها ماربين بين السيد المسيح(عليه السلام) والحسين(عليه السلام) ويشير الى قصب السبق فيها للحسين(عليه السلام)، وأتباعه، كما انه يقارن بين المبشرين المسيح والدعاة الى مذهب أهل البيت، ويرى ان تأثير الدعاة الشيعة أكبر وأعمق في نفوس الناس من المبشرين، ويعيد السبب الى تأثير مصيبة الحسين(عليه السلام) في النفوس أكثر من مصيبة المسيح عيسى(عليه السلام)، على الرغم من القوة والثروة التي يمتلكها المبشرين مقارنة بالدعاة الشيعة، وينفي تهمة الجنون مرة اخرى التي يثيرها المستشرقون على اتباع الحسين(عليه السلام) عند أدائهم الشعائر الحسينية.

أعرب ماربين عن إعجابه بالمجالس الحسينية التي حضرها مراراً كما يقول ويصف تلك المجالس بقوله:" حضرت مجالس اقامة عزاء الحسين مراراً في اسلامبول مع مترجم خاص فسمعتهم يقولون [الحسين الذي هو امامنا ومقتدانا وطاعته واتباعه واجبان علينا لم يتحمل الضيم ولم يدخل في طاعة يزيد]... من بعد ذلك رأيت وعلمت انهم في الحقيقة يعلم بعضهم بعضا علنا انكم ان كنتم من أتباع الحسين ان كان لكم شرف ان كنتم تطلبون السيادة والفوز فلا تدخلوا في طاعة أمثال يزيد ولا تحملوا الضيم واختاروا موت

(1) السياسة الحسينية، ص255، 254.
(2) الساسة الحسينية، ص255.

العز على حياة الذل تنالوا حسن الذكر في الدنيا والسعادة في الآخرة. من المعلوم أن امة تلقى عليها هذه التعاليم من المهد الى اللحد في اي درجة تكون في الملكات العظيمة والسجايا العالية. نعم تكون حائزة كل سعادة وشرف ويكون كل فرد منها جنديا حقيقيا مدافعا عن عز قومه وفخرهم هذه هي نكتة التمدن الحقيقي للأمم اليوم هذا هو تعليم معرفة الحقوق هذا هو معنى تدريس اصول السياسة"[1]، ويظهر ان ماربين قد وضع النقاط على الحروف وهو يصف المجالس الحسينية، والنتائج التي تخرج منها في تقويم الفرد الشيعي وتهيئته للقيام بواجباته السياسية والوطنية مقتديا بالحسين (عليه السلام) كونه رمزا للتضحية والفداء، ويرى ان امة تتغذى على هكذا مبادئ لا يمكن ان تهزم، ويعتبر هذه المجالس حلقات لتدريس اصول السياسة الحقة.

اكتسبت التربية المذهبية اهمية كبيرة لدى ماربين، لا سيما في قارة اسيا، وهي الوحيدة التي يمكن من خلالها الوصول الى حب الوطن والقومية فيشير الى ذلك قائلا:" ينبغي اقتطاف ثمرات حب القومية والوطن من أهال اسيا تحت ظل المذهب كما كانت أوربا قبل بضعة قرون... وليس لواحدة من الروابط الروحانية التي بين المسلمين بين المسلمين اليوم تأثير في نفوسهم كتأثير إقامة مأتم الحسين فاذا دام انتشار وتعميم إقامة هذه المأتم بين المسلمين مدة قرنين لا بد أن تظهر فيهم حياة سياسية جديدة... وبهذه الوسيلة سيتحد المسلمون في جميع انحاء العالم تحت لواء واحد لأنه لا يرى في جميع طبقات الفرق الاسلامية من ينكر ذكر مصائب الحسين وينفر منها بسبب ديني بل للجميع رغبة طبيعية بطور خاص في أداء هذه المراسم المذهبية ولا يرى في المسلمين المختلفين في العقائد سوى هذه النكتة الاتحادية:[2]، ويمكن القول ان ماربين لم يكن موفقا الى درجة كبيرة في هذا النص فكلامه في توظيف الولاء للمذهب كسبيل وحيد بين مسلمي اسيا يمكن أخذه بنظر الاعتبار لان الانتماء المذهبي متفشي بين المسلمين أكثر من الانتماء القومي، وكلامه في استغلال المأتم الحسينية لتوحيد المسلمين كونهم غير مختلفين حول مصيبة الحسين فيه كلام فيمكن اعتبار ذلك مثاليا لوحدة المسلمين اذا كان المسلمين متفقين فعلا، ولكننا نجد من يناصب العداء لأهل البيت، ويعد الحسين خارج عن طاعة الخليفة، وقتل بسيف جده[3]، واليوم نجد ان الخلاف المذهبي قد تفشى بين المسلمين الى حد استغلته الاطراف المعادية للإسلام لإذكاء روح العداء واثارة الفرقة بين المسلمين، فعلا اذا تمكن المسلمين الاجتماع على حب الحسين وإحياء الشعائر الحسينية سيصل الاسلام الى درجة القوة والمنعة بوجه الاعداء، وتوصلنا الى حب الوطن والانتماء للقومية، وقد تجسد ذلك جليا بين شباب مذهب أهل البيت وهم يقارعون اعداء الاسلام من الدواعش اعداء الانسانية.

ختم ماربين بحثه عن السياسة الحسينية بإثارة موضوع التشابه بين المسيح(عليه السلام)، والحسين (عليه السلام) للمرة الأخيرة فتحدث عن ذلك بالقول: "الحسين اشبه الروحانيين بحضرة المسيح ولكن مصائبه كانت أشد وأصعب كما إن اتباع الحسين كانوا أكثر تقدما من أتباع المسيح في القرون الاولى فلو ان المسيحيين سلكوا طريقة أتباع الحسين أو ان أتباع الحسين لم تمنعهم من ترقياتهم عقبات من نفس المسلمين لسادت إحدى الديانتين في قرون عديدة جميع المعمور كما انه من حين زوال العقبات من طريق أتباع الحسين أصبحوا كالسيل المنحدر يحيطون بجميع الملل وسائر الطبقات"[4]، ويبدو ان اعجاب ماربين بالسياسة الحسينية دفعه للتمني في أن يكون اتباع المسيح(عليه السلام) كأتباع الحسين(عليه السلام) حتى يرتقوا، ويسودوا العالم، ويرى ان أتباع الحسين حالت بينهم وبين الوصول الى مبتغاهم أحقاد بعض المسلمين المتربصين بأهل البيت وأتباعهم، ومتى ما اتفقوا فيما بينهم فإنهم سيسودون العالم بأسره، ويرى ماربين ان تحرر اتباع أهل البيت من المضايقات التي فرضتها السلطات الحاكمة واتباعها جعل لها موقعا مميزا بين المذاهب الاسلامية، وتفوقا منقطع النظير في مسألة الولاء للإسلام والمذهب من خلال تعلقهم بأهل البيت والتزامهم بالشعائر الحسينية.

(1) المرجع نفسه، ص256.
(2) السياسة الحسينية، ص258.
(3) ابن خلدون، المقدمة، ص171، 170.
(4) السياسة الحسينية، ص259.

الخاتمة ونتائج البحث: بعد الانتهاء من هذا البحث توصل الباحث الى النتائج الاتية

أولاً: استطاع ماربين ان يجعل الدراسات الاستشراقية في عداد الدراسات الموضوعية، والمنصفة للقضية الحسينية من خلال بحثه المعنون (السياسة الحسينية).

ثانياً: اعتبر ماربين الحسين(عليه السلام) سياسي من طراز خاص تمكن أن يفرض سياسته على بني أمية أصحاب القوة والسلطة.

ثالثاً: وجد ماربين ان التضحية في النفس والاهل والاصحاب والمال سياسة يمكن تجني ثمار اكثر مما تجنيه الجيوش الكبيرة، ويبقى اثرها على مدى الاجيال دون أن يطمس.

رابعاً: ان تضحية الحسين(عليه السلام) جاءت لإعادة الحياة الى الدين الاسلامي، الذي حاول بني أمية جاهدين من أجل طمسه، من خلال التشكيك في نبوة النبي الاكرم.

خامساً: ان للمأتم الحسينية الاثر الذي لا تضاهيه كل الدروس والاجتماعات، فقد كانت ولا زالت سياسة تشحذ الهمم لدى المقاتلين، وأصحاب الثورات.

سادساً: كثيرا ما كان ماربين يتمنى ان يكون المبشرين المسيح كدعاة مذهب أهل البيت في سرعة اقناع الناس بالقضية الحسينية، التي تفوقت سياستها على باقي الديانات الاخرى.

سابعاً: يرى ماربين أن الحسين(عليه السلام) تمكن من خلال السياسة الحكيمة (انتصار الدم على السيف)، أن يبقى خالدا في الدنيا والاخرة.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

ابن الأثير: علي بن محمد الجزري(ت 630هـ/1233م).

1. الكامل في التاريخ، دار صادر، (بيروت–1386هـ/1966م).

ابن أعثم الكوفي: احمد، (ت 314هـ/ 927م).

2. الفتوح، تح: علي شيري، ط1، دار الأضواء، (بيروت–1411هـ/1991م).

الامام أحمد، احمد بن حنبل (ت241هـ/855م).

3. مسند احمد، دار صادر، (بيروت– ب. ت).

البخاري: محمد بن إسماعيل(ت 256هـ/870م).

4. صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة، (بيروت–1401هـ/ 1981م).

البلاذري: أحمد بن يحيى، (ت279هـ/892م).

5. أنساب الأشراف، تح: محمد حميد الله، دار المعارف، (القاهرة–1379هـ/1959م).

ابن خلدون: عبد الرحمن(ت808هـ/).

6. المقدمة، ط9، دار الكتب العلمية، (بيروت – 1417/ 2006م).

الحاكم النيسابوري: محمد بن عبد الله النيسابوري(ت405هـ/1014م).

7. المستدرك على الصحيحين، تح: يوسف عبد الرحمن، دار المعرفة، (بيروت–405هـ /1014م).

ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع (ت 230هـ/ 785م).

8. الطبقات الكبرى، دار صادر، (بيروت– ب. ت).

ابن شهر أشوب: محمد بن علي(ت588هـ/1328م).

9. مناقب أل أبي طالب، تح: لجنه من أساتذة النجف، المطبعة الحيدرية، (النجف الأشرف –1376هـ/1056م).

ابن طاووس: علي بن موسى بن جعفر(ت664هـ/1265م)
10.اللهوف في قتلى الطفوف، ط1، مطبعة مهر، (قم- 1417هـ/ 1996م).
الطبراني: سليمان بن احمد (ت 360هـ/ 971م).
11. المعجم الكبير، تح: حمدي عبد المجيد، ط2، دار إحياء التراث العربي، (بيروت- ب. ت).
الطبري: محمد بن جرير(ت 310هـ/ 923م).
12. تاريخ الرسل والملوك، تح: نخبة من العلماء، الأعلمي، (بيروت-1403هـ/ 1983م).
ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله بن محمد(ت463هـ/1070م).
13. التمهيد، تح: مصطفى بن احمد العلوي، وزاره عموم الأوقاف، (المغرب-1378هـ/1965م).
ابن عساكر: علي ابن الحسين (ت571هـ/1175م).
14. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسميه من حل بها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تح: علي شيري، دار الفكر، (بيروت-1415هـ/1995م).
ابن قتيبة الدينوري: محمد بن عبد الله بن مسلم، (276هـ/ 882م).
15. الأخبار الطوال، تح: عبد المنعم عامر، دار إحياء التراث العربي، (بيروت- ب. ت).
ابن كثير: اسماعيل بن عمر، (ت 774هـ/ 1373م).
16. البداية والنهاية، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، (بيروت-1408هـ/1988م).
أبو مخنف: لوط بن يحيى(ت157هـ/773م).
17. مقتل الحسين، تح: حسين الغفاري، مطبعة العلمية، (قم- ب. ت).
المسعودي: علي ابن الحسين(ت346هـ/957م).
18. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: يوسف اسعد داغر، ط2، دار الهجرة(قم-1404هـ/1984م).
مسكويه: احمد بن محمد(ت 421هـ/1030م).
19. تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تح: أبو القاسم إمامي، ط2، دار سروش للطباعة، (طهران- ب. ت).
المقريزي: احمد بن محمد، (845هـ/ 1441م).
20. إمتاع الأسماع بما للنبي(صلى الله عليه واله) من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تح: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، (بيروت-1420هـ/ 2000م).
اليعقوبي: احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح(ت بعد 292هـ/ 905م).
21. التاريخ، تح: خليل المنصور، مطبعة سنارة، (قم -1428هـ/2008م).

ثانياً: المراجع

الأمين: محسن

22. إقناع اللائم على إقامة المأتم، تح: جواد الصافي، ط1، دار الصفوة، (بيروت-1430هـ/ 2009م).

فوك: يوهان

23. تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية الإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين، ترجمة: عمر لطفي العالم، ط2، دار المدار الإسلامي، (بيروت-1420هـ/ 2000م). القرشي، باقر: شريف
24. حياة الإمام الرضا، مطبعة مهر، (قم-1386هـ/ 1966م).

المنجد: صلاح الدين.